



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي

مراجعة كتاب: بيلا تومكا، التقشف والتطلعات: تاريخ مقارنة للنمو والاستهلاك ونوعية الحياة في شرق أوروبا الوسطى منذ عام 1945

المراجع: مارسين بياتكوسكي *

ترجمة: مصباح كمال **

Béla Tomka. *Austerities and Aspirations: A Comparative History of Growth, Consumption, and Quality of Life in East Central Europe since 1945*. Budapest and New York: Central European University Press, 2020. xii + 445 pp. \$105 (cloth), ISBN 978-963-386-351-0.
Published by EH.Net (January 2023).

تقديم

سبق وأن نشر موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين ترجمة لمراجعات كتب تثير التساؤل وتنتقد مدى ملائمة مقياس النمو الاقتصادي ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي كدلالة على مستوى الرفاه الاجتماعي. ومن بينها [مراجعة-كتاب-ستيفن-جي-ماسيكورا-سوء-قياس-التقدم-النمو-الاقتصادي-ونقاده.pdf](#) (iraqieconomists.net) ومراجعة كتاب بول-دالزيل-حول-تغيير-تركيز-الاقتصاد-من-النمو-إلى-الرفاهية-1(iraqieconomists.net).pdf. وتأتي ترجمة المراجعة الحالية لتضيف الجديد للموضوع في ضوء مقارنة تاريخية مع دول وسط وشرق أوروبا. وتضم المراجعة إشارة مهمة إلى ما يعرف بالأجر الاجتماعي social wage الذي يضم، كمثال، دعم المواد الأساسية كسلة الطعام والإيجار والمواصلات العامة وملابس الأطفال والأنشطة الثقافية، وكذلك قروض بدون فوائد للمتزوجين الجدد والأمهات وغيرها. وهذه وغيرها هي مما كان يميز أنظمة وسط وشرق أوروبا حين سقوطها.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن البنك الدولي نشر قبل فترة تقريراً ذكر فيه أن مرتبة العراق ستكون الأعلى بين الدول العربية من حيث نمو نصيب الفرد العراقي من الناتج المحلي الإجمالي خلال 2022. وكما يبين الاقتصاديون فإن هذا النمو لا يعكس تقدماً اقتصادياً حقيقياً فهو ليس إلا انعكاساً للوفورات المالية المتأتية من زيادة أسعار النفط في الاسواق العالمية في الفترة 2021 و 2022. وما يهم موضوعنا هم أن هذه الزيادات لم تنعكس على رفع مستوى الرفاه في العراق ولا تحسين "الأجر الاجتماعي" للطبقات الدنيا.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي

ترجمة المراجعة

يُعد كتاب بيلا تومكا إضافة مرحب بها لدراسة وسط وشرق أوروبا Central and Eastern Europe (CEE) في حقل دراسي متخلف غالبًا ما يتم تجاهله. يوثق تومكا تطور الدخل وأنماط الاستهلاك ونوعية الحياة في المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا، كنماذج لمنطقة أوروبا الوسطى والشرقية بأكملها، ويضع هذه البلدان جنباً إلى جنب مع نفس التغييرات في أوروبا الغربية. ويركز الكتاب في الغالب على فترة الشيوعية 1950-1990 في أوروبا الوسطى والشرقية بعد الحرب العالمية الثانية ولكنه يغطي السنوات التي تلت عام 1990 أيضاً.

هناك الكثير مما يعجبك في الكتاب، بما في ذلك مقارنته لتجاوز الناتج المحلي الإجمالي والتركيز على تطور الاستهلاك ونوعية الحياة؛ والتفاصيل الثرية حول التغييرات التي طرأت على الرفاه خلال الفترة الشيوعية، والتي لا يُعرف عنها إلا القليل خارج المنطقة؛¹ وكذلك منظوره طويل المدى ومنظوره الأوروبي، والذي غالبًا ما يكون مفقودًا في سرد التاريخ الاقتصادي الأوروبي القياسي ذي التوجه الغربي. يقدم الكتاب أيضًا مراجعة مفيدة للأدبيات حول أسباب الاختلاف الاقتصادي بين شطري القارة. فهو يجمع بين الإحصاءات التاريخية عن الدخل والاستهلاك ونوعية الحياة مع سرد مقنع إلى حد كبير. وعلى هذا النحو، سيكون الكتاب قراءة ممتازة للباحثين المهتمين بمنطقة أوروبا الوسطى والشرقية، وخصوصيات الاشتراكية الحقيقية real socialism، والتفاعل بين النمو والاستهلاك ونوعية الحياة.

ومع ذلك، كان من الأفضل أن يركز الكتاب بشكل أقل على أوروبا الغربية ويكرّس المزيد على أوروبا الوسطى والشرقية، مما كان سيشرح بشكل أفضل كيفية مساهمته في الأدبيات الموجودة حول الموضوع، ويفصّل في العديد من الأسئلة المهمة التي يثيرها ولكنه غالبًا ما يتركها دون إجابة.

أولاً، يغطي الكتاب الكثير من الأرضية المعروفة بالفعل، مثل قصة التطور الاقتصادي لأوروبا الغربية في القرن العشرين. إن التطور الاقتصادي في أوروبا الوسطى والشرقية غير معروف جيداً — حيث تكمن قيمة الكتاب — ولكن استخدام المؤلف الحرفي للإحصاءات التاريخية المتاحة على نطاق واسع والسرد غير المثير

¹ راجع كمثال على تقييم متوازن لتجربة جمهورية ألمانيا الديمقراطية في كتاب:

Bruni de la Motte and John Green, *Stasi State or Socialist Paradise?* (London: Artery Publications, 2015) (الترجم)



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي

عمومًا يجعل من الصعب استلهم منظور جديد. فالبيانات التاريخية عن الدخل، على سبيل المثال، قاعدة بيانات مشروع ماديسون 2020 (Maddison Project 2020 Database)،² متوفرة بسهولة وليس هناك حاجة تذكر لإعادة إنتاجها. إن ثلاثة مخططات حول التغيرات في الناتج المحلي الإجمالي والاستهلاك ونوعية الحياة في جميع أنحاء القارة خلال الفترة من 1900 إلى 2015 كان من الممكن أن تحلّ بسهولة محل عشرات الصفحات من جداول بيانات (معظمها عفا عليها الزمن بالفعل). كان من الممكن أن يلخص الكتاب التاريخ المعروف للتطور الغربي في بضع صفحات فقط ويركز بشكل حصري على أوروبا الوسطى والشرقية لشرح ما تعنيه جميع الاختلافات في البيانات وما الذي أدى إلى التغيرات.

ثانيًا، ليس واضحًا ما يضيفه الكتاب بالنسبة إلى إجماع العلماء. بعد قراءة 300 صفحة من الكتاب وما يقرب من 150 صفحة من الملاحظات والمراجع، قد يجد المرء صعوبة في العثور على ما هو جديد، بخلاف بعض الإحصائيات المثيرة للاهتمام (مثل تلك التي تبين أنه "في تشيكوسلوفاكيا، كانت حصة الشريحة العشرية upper decile الأعلى من إجمالي الدخل الشخصي 14 بالمائة في 1962، الذي كان أدنى مستوى لتركز الدخل في أوروبا وربما في العالم بأسره"، ص 160). وينعكس افتقار الكتاب إلى مقارنة جديدة جيدة في الأسئلة البحثية الخطابية للمؤلف إلى حد كبير حول ما إذا كانت التنمية الاقتصادية في أوروبا الوسطى والشرقية ونوعية الحياة متأخرة عن أوروبا الغربية خلال القرن العشرين (نعم، لقد حدث ذلك!) وما إذا كانت هناك أي فترة تقارب convergence وتباعده divergence (نعم كان هناك!). كان من المفيد أن يذكر المؤلف بوضوح ما يحاول قوله وكيف يمكن أن يكون مختلفًا عما نعرفه بالفعل.

ثالثًا، يثار في الكتاب، بشكل صريح وضمني، العديد من الأسئلة المهمة ولكن المؤلف لا يوضح إلى حد كبير الإجابات المحتملة. على سبيل المثال، يلاحظ المؤلف ان مستويات الاستهلاك ونوعية الحياة في أوروبا الوسطى والشرقية الشبوعية كانت أقل مما كانت عليه في أوروبا الغربية، كما هو متوقع نظرًا للاختلافات الكبيرة في

² توفر قاعدة بيانات مشروع ماديسون معلومات عن النمو الاقتصادي المقارن ومستويات الدخل على المدى الطويل. للمزيد من المعلومات انقر على هذا الرابط:

<https://www.rug.nl/ggdc/historicaldevelopment/maddison/releases/maddison-project-database-2020?lang=en>

وكذلك الموسوعة الحرة: https://en.wikipedia.org/wiki/Maddison_Project



أوراق في الاقتصاد السياسي

مستويات الدخل، لكنه يجادل بعد ذلك بأنه يجب تعديل [مستويات الاستهلاك ونوعية الحياة] وفقاً لعوامل متعددة جعلت الشيوعية أوروبا الوسطى والشرقية غريبة. وشملت هذه، من ناحية، الخدمات العينية المقدمة مجاناً أو بأسعار زهيدة من قبل الدولة الشيوعية (مثل دور الحضانة والرعاية الصحية والعطلات الشتوية والصيفية وحتى تذاكر المسارح وتسجيلات الموسيقى الكلاسيكية)، والأمن الوظيفي العالي job security، وانخفاض اللامساواة. من ناحية أخرى، عانى مواطنو الدول الشيوعية في أوروبا الوسطى والشرقية من انخفاض جودة المنتجات والخدمات، وشحة دائمة وطوابع انتظار طويلة ودخل أقل مما يمكن أن توحى به إحصاءات الإنتاج والنمو المتضخمة في كثير من الأحيان. ومع ذلك، وبشكل عام، هل أدت هذه الاختلافات إلى زيادة أو تقليل الفجوة مقارنة بأوروبا الغربية؟ كيف نأخذ في الحسبان الافتقار إلى حرية التعبير والقيود المفروضة على الحركة ونقص التمثيل السياسي الحر في أوروبا الوسطى والشرقية في قياس الرفاه؟ كيف يمكن أن تؤثر هذه العوامل على تقييم الرفاه في الأنظمة الاستبدادية اليوم؟ في حين أنه ليس من السهل معالجة مثل هذه الأسئلة، فقد كان من المفيد للمؤلف تقديم إجابات غير كاملة بدلاً من عدم التعامل مع هذه الأسئلة على الإطلاق.

بالإضافة إلى ذلك، فإن اختيار المؤلف لأوروبا الغربية كمعيار لأوروبا الوسطى والشرقية الشيوعية يلقي بظلاله على حقيقة أنه في حين تخلفت الدول الشيوعية عن أوروبا الغربية في كل جوانب التنمية تقريباً، إلا أنها مع ذلك سجلت درجات أعلى بكثير في نتائج التعليم، والوفيات، والمساواة بين الجنسين والعديد من العناصر الرئيسية الأخرى للتنمية والرفاه مما قد توحى به مستويات الدخل. هل يعني ذلك أن دول أوروبا الوسطى والشرقية في ظل الشيوعية "حاولت أن تحقق ما هو فوق طاقتها" "punched above their weight" in well-being؟ في الرفاه؟ هل هناك دروس من هذه التجربة للبلدان النامية حول العالم اليوم؟

أخيراً، فشل الكتاب في الإشارة إلى أن جميع البلدان الأربعة التي تم تحليلها في الكتاب — بولندا وتشيكيا وسلوفاكيا والمجر — وكذلك بقية منطقة أوروبا الوسطى والشرقية من إستونيا وصولاً إلى بلغاريا — تعيش جميعها خلال عصرها الذهبي، الذي يُعرّف على أنه أقصر مسافة في التاريخ بين مستويات الدخل ونوعية الحياة فيها وتلك الموجودة في أوروبا الغربية. هذا أمر مثير للدهشة في ضوء التغطية المفيدة للكتاب بشكل عام لفترة ما بعد عام 1990 للنهوض الاقتصادي في أوروبا الوسطى والشرقية (على الرغم من أنه من غير المفهوم إلى حد ما بالنسبة لكتاب تم الانتهاء منه في منتصف عام 2018، فإنه يستخدم بيانات غالباً ما تنتهي في 2005 أو 2010). لا يذكر الكتاب أن متوسط الناتج المحلي الإجمالي للفرد، تكافؤ القوة الشرائية GDP per



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي

capita PPP هو الآن أعلى في تشيكيا منه في إسبانيا والبرتغال واليونان، وهو أعلى وشك اللحاق بإيطاليا؛ أو أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في بولندا أعلى من نظيره في البرتغال وهو أعلى وشك اللحاق بالركب في إسبانيا. بالنسبة لكتاب يركز على نوعية الحياة، فإنه يفشل بشكل مدهش في الإشارة إلى أن مستوى الرفاه في تشيكيا، كما ينعكس، على سبيل المثال، في مؤشر الحياة الأفضل لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD Better Life Index، هو الآن أعلى من إيطاليا أو أن مستوى الرفاه في بولندا ليس هو أعلى فقط من نظيرتها في البرتغال ولكنها أيضاً أعلى من نظيرتيه اليابان وكوريا الجنوبية، على الرغم من أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في البلدين الأخيرين أعلى بمقدار الثلث تقريباً. هل يعني هذا أن بلدان أوروبا الوسطى والشرقية تمكنت من تحويل الازدهار المتزايد إلى رفاه أعلى بكفاءة أكثر من غيرها؟ إذا كان الأمر كذلك، لماذا وكيف؟ وعلى نطاق أوسع، هل كان لنجاحهم الاقتصادي أي علاقة بإرثهم الشيوعي الشامل، كما قد يجادل آخرون، مثلي؟

بشكل عام، يُعد كتاب تومكا إضافة ممتازة إلى المجموعة الصغيرة للكتابات، وإن كانت متنامية، والتي تتبنى مقارنة للتاريخ الاقتصادي لعموم أوروبا وتتجاوز الناتج المحلي الإجمالي للتركيز أيضاً على الرفاه. سيستفيد العديد من الباحثين، وخاصة أولئك الذين ليسوا على دراية بأوروبا الوسطى والشرقية، من قراءة الكتاب. يمكن أن يركز البحث المستقبلي على مقارنة التجربة التنموية لأوروبا الوسطى والشرقية ليس مع أوروبا الغربية، التي كانت دائماً متقدمة على أوروبا الوسطى والشرقية في التنمية، ولكن مع جنوب أوروبا (اليونان وإسبانيا والبرتغال)، والتي تنتشر في محركات ومعوقات النمو عبر القرون فيما بينها وفيود مماثلة في أوروبا الوسطى والشرقية. باستخدام تشبيه خاص بالسيارات، قد يكون من الأفضل مقارنة سكودا بشركة فيات بدلاً من بورش. إن الرؤى المستمدة من مثل هذا التحليل من شأنها أن تجعل تجربة أوروبا الوسطى والشرقية ذات صلة ليس فقط لخبراء المنطقة، ولكن أيضاً للجمهور العالمي. ■

مارسين بياتكوسكي، أستاذ الاقتصاد في جامعة كوزمينسكي في بولندا.

Marcin Piatkowski is Professor of Economics at Kozminski University in Warsaw. His book *Europe's Growth Champion: Insights from the Economic Rise of Poland* (Oxford University Press, 2018) received the 2019 Polish Academy of Sciences' prize for Best Book in Economics.

Copyright (c) 2023 by EH.Net. All rights reserved.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الاقتصاد السياسي

** مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة بالنقر على هذا الرابط: <https://eh.net/?s=tomka>

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.

<http://iraqieconomists.net/ar/>